التعريف المفهومي بالوعـــي الإنساني ووظيفته

عبير رمضان أبوعزة ــ قسم الفلسفة ــ كلية الآداب ـ جامعة الزاوية

الملخــص:

تعد الفلســـــفة الواعية المجتمع كياناً فريداً ولا يمكن أن يختزل إلى الأفراد (مجرد مجموعة أفراد) والمجتمع وجه من وجوه الكيان الروحي للإنسان، ويجب أن ينظر إليه كجهاز لتحقيق الكمال الإنساني وكون المجتمع خلية من خلايا الكون يحتاج إلى تصور شامل تعاوني للكون والمجتمع، وهذه النظرة تقابلها في الفلسفة الحديثة نظرة إلى المجتمع وتجتهد هذه الفلسفة في صون سيادة الفرد واستقلاله بحيث يستطيع ممارسة حقوقه ومسؤولياته بكل ما تعنيه الكلمة في استخدام منهج فكري في كيفية بناء تكنولوجيا السلوك الإنساني كأسلوب ومنهج واعي وضرورة زيادة الوعي من خلال التكامل في العمل بين المؤسسات وأن مسؤولية الحفاظ على الحياة الإنسانية هي مسؤولية الفرد والمجتمع وإن يكون لهم دور أساسي فاعل في تربية الجيل الواعي والحفاظ عليه.

فالفلسفة الواعية تحتاج إلى وقفة علمية صادقة تعيد علاقة الإنسان ووعيه على أساس فلسفي جديد وتوجيهها لحياة الإنسان الواعي المتوازن مع نفسه.

Abstract:

Conscious philosophy considers society a unique entity and cannot be reduced to individuals (merely a group of people) society is an aspect of the spiritual entity of man, and it must be viewed as a device to achieve human perfection, society being a cell of the universe requires a comprehensive cooperative vision of the universe. This view is met in modern philosophy by a view of society. this philosophy strives to establish the sovereignty and independence of the individual so that he can exercise his rights and responsibilities in every sense of the word in using an intellectual approach in how to build human behavior technology as a conscious method and approach and the necessity of increasing awareness through integration in work between institutions and the responsibility for preserving human life is the responsibility of the individual and society and that they have a fundamental and effective role in raising the conscious generation and preserving it. Conscious philosophy requires an honest scientific stance that restores the relationship between man and his Consciousness on a new philosophical basis and directs it to the life of the Conscious man who is balanced with himself.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه، الأبرار الظاهرين صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين.

وبعد...

فكما نعلم من قبل أن هناك من يضفى على الوعي الصبغة المادية فيرى أننا موجودون على وجه الأرض، ووعينا حقيقي، ونحن جزء مادي من هذه الأرض، وجميع الافتراضات التي يمكن أن ننطلق منها هي ما تمليه علينا حواسنا الخمس، ويمكننا أن نستزيد من الحقيقة بتوظيف وعينا، ولكنها لن تعد حقيقة إلا إذا أدركناها بحواسنا سواء أكان ذلك بشكل مباشر أم غير مباشر، وإذا كان الإدراك غير مباشر فهو حقيقة مؤقتة إذا لم تكن لها فائدة في تطوير ذاتنا واستمرارنا في البقاء، والبحث عن المعرفة فهي حقيقة مهملة، ويمكن إلغاؤها، أما إذا كان لها فائدة علمية فيمكن قبولها مؤقتاً حتى يظهر لنا من الحقائق ما يتميز عنها دون إلغاء مكتسباتها[1].

من هنا نجد أنَّ الوعي مفهوم معقَّد ينطوي على أبعاد ومكونات متشابكة تعكس الطبيعة المعقدة للدماغ، فهو سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ، عندما يتعرَّض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة، أو أكثر من الحواس، وهو مفهوم افتراضي مجرَّد ينطوي على نشاطات غير مرئية وغير ملموسة، وما نلاحظه أو نلمسه هو ناتج فعل التفكير الواعي سواء كان بصورة مكتوبة أو منطوقة أو حركية أو مرئية[2].

إنَّ الوعي بمعناه المجرَّد هو: إعمال العقل أو تشغيله في أمر ما وهو أهم ما يميز الجنس البشري، فالوعي المنطقي، طريقة لاستعمال العقل، فهو عادة من عادات العقل، وموقف من مواقفه، وظهرت الحاجة للوعي المنطقي بسبب المعوقات التي تشوب سلوك العقل بوصفه نظام تذكرُّ تلقائي للقوالب المصوغة مسبقاً[3].

وعلى ذلك فإذا كان الوعي في أساسه سلطة عملية تمارس تأثيراً على الإرادة فإن وظيفته الحقيقية تكمن في إنتاج الإرادة الخيرة التي لا تعتبر وسيلة لبعض الأهداف الأخرى، وإنما هدف في ذاتها، ولذا فإن حرية الوعي الإنساني هي شرط أساسي وضروري لقيام الأفعال الحقيقية، وبالتالي فلا يمكن لأي كائن أن يقوم بفعل إلا تحت تأثير فكرة الحرية وذلك لأنَّ تأكيد الحرية يقوم على تأكيد القانون الأخلاقي والعكس صحيح[4].

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث الحالي في أن فكرة الوعي تعد فكرة غامضة، ومن الصعب تحليلها لدرجة أن بعض الفلاسفة اعتقدوا أنها غير قابلة للتحليل، فليس من الواضح ما إذا كانت كلمة "الوعي" تشير إلى نوع واحد من الكينونة أم الصفات أم العمليات أم غير ذلك[5]، وبذلك تتحدد المشكلة في السؤال الرئيس الآتي:-

- هل توجد صعوبة حقيقية تحيط بالوعي فما جوهر تلك الحيرة؟.

ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

1- ما تلك الموضوعات المحددة التي من شأنها حل مشكلة الوعي؟

2- هل توجد بالفعل مشكلة للوعي؟ وهل يمكن لنا أن نواجه ظاهرة يتعدى فهمها نطاق قدراتنا العقلية دائماً؟

3- هل الوعي نتاج للعقل الإنساني أم أنه نتاج شيء فوق المادة هو الروح أم نتيجة عوامل خارجية عن الطبيعة أي أنها موجودة خارج الزمان والمكان؟

4- ما الوظيفة المهمة التي يقوم بها الوعي؟

5- ما الوظيفة التطورية للوعي؟ ما قيمته التطورية؟ وما الذي يفعله؟ وما أية فائدة يسديها للبقاء؟

أهداف البحث:

تتمحور الأهداف الأساسية لهذا البحث في الآتي:-

1- يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات بالوعي العقلي فالوعي أداة الإنسان الذي ينظم به خبرته بطريقة معينَّة، استعداداً لحل مشكلة، أو إدراك علاقة بين شيئين أو أكثر.

2- يهدف هذا البحث إلى التعريف بمميزات الوعي الإنساني وخلق وعي وبناء ضمير وقيم خلقية تحدد بموجبها مسؤولية الإنسان الأخلاقية تجاه نفسه، تدفعه إلى ربط نوازعه وميوله ورغباته بالقيم الأخلاقية السائدة في مجتمعه.

3- الاهتمام بثقافة المجتمع وتطويرها بحيث تعتمد على الوعي الفاعل في حل المشكلات، وتشجيع أفراد المجتمع على نهج سلوك منفتح لتجاوز السلوك المنغلق.

4- تجنب التناقض والغموض، وسهولة التواصل مع الآخرين بأفكار مقنعة وواضحة ومفهومة.

5- الاستماع الواعي والملاحظة الدقيقة، وربط ذلك مع الخبرة الذاتية، أي إعطاء رأي حول الظاهرة المراد دراستها.

أهمية البحث:

تكمن الأهمية في تنمية المواقف الإيجابية للإنسان اتجاه نفسه، بشكل شامل متكامل يشمل كافة الجوانب الجسمية والحركية والفكرية والخلقية وتهدف إلى تحقيق توازن كل الأنظمة من خلال تدريب النواحي الجسمية والفكرية والخلقية والانفعالية الإنسانية وتحقيق التكامل بين هذه العناصر جميعاً لتكوين منظور حضاري شامل للإنسان يهدف إلى تخطى المادة من جهة ومن جهة أخرى تهذيب للذات الإنسانية.

منهج البحث:

اعتمدت على المنهج التحليلي لأنه من أنسب المناهج لتحقيق أهداف البحث، وأيضاً يتم من خلاله تحليل ومناقشة الآراء والأفكار التي تعطى للبحث دقة ووضوح وبناء على ما تقدم كان تقسيم البحث على النحو التالي: مقدمة وثلاث مباحث حيث تناولت في المبحث الأول: دلالة الوعي وفلسفته (في دلالة المصطلح) تم تحدثت في المبحث الثاني عن حدود الوعي ومجالاته، في حين جاء المبحث الثالث: لتوضيح مشكلة غموض الوعي وجاءت الخاتمة لاستخلاص أهم النتائج التي توصل إليها البحث. ثم الخاتمة والمراجع.

المبحث الأول ـ دلالة الوعي وفلسفته (في دلالة المصطلح)

قبل البدء في مناقشة موضوع الوعي لابد لنا أنْ نعرف بهذا المصطلح، فلا يمكن الشروع في الحديث عن الوعي بدون أن نشير إلى معناه.

الوعي: يعنى: وَعَيْتُ العِلْمَ أَعِيهِ وَعياً، ووعى الشيء والحديث يَعِيه: حَفظَه وفَهِمَه وقَبِلَه، فهو واعٍ. وفلان أَوْعَى من فلان أي أَحْفَظُ وَأَفْهَمُ[6]، ولمفهوم الوعي دلالات عديدة، لكن أهم معانيه تتجلى من خلال علم النفس وعلم الاجتماع، ففي علم النفس، يشير مصطلح (الوعي) أولاً إلى حالة اليقظة العادية، ويشير ثانياً إلى قدرة الإنسان المتميزة الخاصة على الشعور بذاته، وتمايز ذاته عن الآخرين وعن الأشياء والكائنات الأخرى، أما علم الاجتماع، فقد شرع في التركيز على أن الوعي نتاج لتطور فسيولوجي لمخ الإنسان، ولقدرة الإنسان على العمل وابتكار اللغة وأن الوعي بهذا الشكل يصبح النتاج المباشر لتفاعل المعرفة المكتسبة فردياً أو اجتماعياً مع المخ، وبالتالي يصبح اللاوعي جزءاً من الوعي، ويتبادلان في الوقت نفسه التأثير والتأثر.

وبالتالي يعتبر الوعي الحالة العقلية التي يتم من خلالها إدراك الواقع والحقائق التي تجري من حولنا، وذلك عن طريق اتصال الإنسان مع المحيط الذي يعيش فيه، واحتكاكه به مما سيسهم في خلق حالة من الوعي لديه بكل الأمور التي تجري وتحدث من حوله، ممّا يجعله أكثر قدرة على إجراء المقاربات والمقارنات من منظوره هو، وبالتالي سيصبح أكثر قدرةً على اتّخاذ القرارات التي تخص المجالات والقضايا المختلفة التي تطرأ له، وتوجد العديد من التعريفات للوعي منها:

يعتبر الوعي الغطاء الخارجي للنفس، أي أنه يمثل سطح الذات، في حين يعتبر اللاوعي الجزء العميق للذات، وفقاً لفيلسوف العصر الحديث رينيه ديكارت(*)، الوعي هو حقيقة بديهية ندركها من خلال الحدس العقلي ولا يمكن أن يمسه الشك، يرتبط الوعي أيضاً بالوجود، حيث يعتبر "أن أفكر، فأنا موجود" هو الشكل الشهير الذي يدل على الوعي(7).

ثمة أنواع عديدة للوعي، منها الوعي العفوي (التلقائي)، وهو ذلك النوع من الوعي الذي يكون أساس قيامنا بنشاط معين، دون أن يتطلب منا مجهودًا ذهنياً كبيراً، بحيث لا يمنعنا من مزاولة أنشطة ذهنية أخرى، أما الوعي التأملي فهو على عكس الأول يتطلب حضوراً ذهنياً قوياً، ويرتكز على قدرات عقلية عليا، كالذكاء والإدراك، والذاكرة، ومن ثم فإنه يمنعنا من أن نزاول أي نشاط آخر. كما أن هناك الوعي الحدسي: وهو الوعي المباشر والفجائي الذي يجعلنا ندرك أشياء، أو علاقات، أو معرفة، دون أن نكون قادرين على الإتيان بأي استدلال، وأخيراً هناك الوعي المعياري الأخلاقي: وهو الذي يجعلنا نصدر أحكام قيمة على الأشياء والسلوكيات فنرفضها أو نقبلها، بناء على قناعات أخلاقية، وغالباً ما يرتبط هذا الوعي بمدي شعورنا بالمسئولية تجاه أنفسنا والآخرين.

ويعرف الوعي بأنه "مجموع المشاعر ولحظات الإدراك واليقظة والقدرة على التخيل والاختيار والانفعال والمقارنة والاستبدال"(8)، وبصفة عامة، يجرى استعمال كلمة "وعي" بمرادفات كثيرة التباين: فكثيراً ما يساوي بعض الباحثين العقل بالوعي، فالوعي لا يزيد عن مجرد كونه حالة أو وظيفة للعقل(9)، إلا أن كلمة "العقل" أكثر من مجرد وعي، بل تشمل أيضاً الرغبات، الأمزجة، الذاكرة، التعلم، واللاوعي، وغير ذلك من العمليات العقلية.

ويعرف روزنتال في الموسوعة الفلسفية الوعى بأنه: "أعلى أشكال انعكاس الواقع الموضوعي"، وهو كامن في الإنسان وحده، والوعي هو المجمل الكلى للعمليات العقلية التي تشترك إيجابياً في فهم الإنسان للعالم الموضوعي ولوجوده الشخصي[10].

وعرف الأطباء الوعى بأنه إدراك الذات والمحيط، وذكروا أنه يتطلب سلامة مراكز الوعي واليقظة، التي وجد أنها تقع في جذع الدماغ، إضافة لقشرة المخ، وبالتالي فإن الأطباء قرروا أن الغيبوبة تأتى نتيجة لأية إصابة شديدة في قشرة المخ أو جذع الدماغ[11]. وأحياناً تستعمل كلمة الوعي بالمعنى الضيق بمعنى "معرفة الذات" أو "الإحساس بالوجود" وهنا يكون الوعى نعتاً مميزاً للكائنات البشرية بشكل خاص، والأمر الأساسي في موضوع الوعى هو أن ندرك - أن نعى - هويتنا الشخصية وما نحن نعيش بصدده، ومن هنا يتميز الوعي عن حالات اللاوعي مثل النوم والأفعال التلقائية المنفذة بدون تفكير[12].

فمن الملاحظ إننا عندما ننام نكون "لا واعيين"، إلا أنه أثناء النوم تكون خبراتنا البصرية والعاطفية واعية تماماً. فيكون للوعي هنا معنيان [13]:

المعنى الأول: يدل على حالة من الاستيقاظ أو النهوض

المعنى الثاني: يربط الوعي بالخبرة الحسية والعاطفية.

وتتحكم العديد من أجزاء جذع المخ في الوعى بمعنى الاستيقاظ، وتشتمل هذه الأجزاء على التشكيل الشبكي وإثارة هذا التشكيل الشبكي تزيد الاستيقاظ ويؤدى تدمير هذا التشكيل إلى الغيبوبة.

إنه على الرغم من عدم اتفاق الجميع على الخصائص التي يجب أن تستنتج، فالكل يتفق أننا يجب أن نميز وعى الشخص عن وعي الحالة الذهنية، فأن نقول أن شخص ما وعى (يقظ) هو أمر مختلف تماماً عن أن نقول أن الحالة العقلية للشخص هي الوعى (اليقظة)، فمن المتفق عليه أنه يجب علينا أن نميز داخل وعى الشخص نفسه ما بين الصيغ المتعدية واللازمة، وأن نقول أن كائن ما واع (لازم) هو أن نقول أنه متيقظ بعكس النائم أو في الغيبوبة، ولا توجد هنا أي مصاعب فلسفية عميقة كامنة هنا، ولكن أن نقول عن كائن ما أنه واعى بكذا وكذا، (متعدى) يعنى وبشكل طبيعي أن نقول على الأقل أنه يدرك كذا وكذا.

فالوعي هو سبيل الإنسان لإدراك نفسه جوهراً مفكراً ناقداً ومن ثم إدراك غيره، فنجد أن إدراك الشيء أمر مهم، ولكن الأكثر أهمية هو أن أعي أنني أدركه [14].

ينظر العلم الديكارتي – النيوتنى- على أن المادة أساس الكون، ويصور العلماء المتمسكون بهذه المنظومة الفكرية الوعى على أنه نتاج العمليات فيزيولوجية جارية في الدماغ، ومن منظور كهذا، فإن وعى أي منا حبيس جمجمته، ومنفصل تماماً عن وعى البشر الآخرين، ويرى العلم التقليدي الوعى على أنه ظاهرة بشرية على وجه الحصر، ولذا ينزع إلى التعامل مع أشكال الحياة غير البشرية - بما في ذلك الرفيعة منها على أنها بمجرد مكائن لا واعية، غير أن الدراسة العميقة للتجارب التي وفرتها لنا حالات الوعى غير العادية، خاصة تلك التي تتميز بطبيعة متعدية لما هو شخصي، تضع أمامنا أدلة مقنعة على نقص تعريفاتنا القديمة للوعى وبعدها عن الصواب[15].

فإذا ما كانت صورة الوعي البشرى المعلب داخل الجمجمة تبدو صحيحة فيما يتعلق بحالات الوعى العادية، إلا أنها تكف عن تفسير ما يحدث ما إن تسعى إلى حالات الوعي غير العادية، كحالة النشوة، والأزمات النفسية الروحية العفوية، أو الحالات التي يحدثها التأمل، أو التنويم، أو جلسات عقاقير الهلوسة، أو العلاج النفسي التجريبي. فالطيف الواسع المدهش من التجارب التي أضحت متاحة في هذه الظروف يشير إشارة واضحة إلى قدرة النفس البشرية على أن تتعالى على ما نعتبره في العادة حدوداً للزمان أو المكان. كما تكشف أبحاث الوعى الحديثة أنه لا حدود واقعية ومطلقة لنفوسنا، فنحن على العكس، جزء من حقل لا نهائي من الوعى يكتنف الوجود كله، ويتخطى الزمان والمكان ليصل إلى ضروب من الواقع لا يزال علينا أن نستكشفها [16].

وفى المعجم الفلسفي جاء تعريف الوعى على أنه إدراك المرء لذاته وأحواله وأفعاله إدراكاً مباشراً، وهو أساس كل معرفة، وله مراتب متفاوتة في الوضوح، وبه تدرك الذات أنها تشعر وأنها تعرف ما تعرف"، وذهب هاملتون إلى أنه ليس من اليسير تعريف الوعى، لأننا إذا أدركنا بأنفسنا فنحن لا نستطيع أن ننقل وعينا إلى الآخرين[17] ويشير"معجم كامبردج" للفلسفة في هذا الصدد إلى إشكالية مفهوم الوعي بين العلم والفلسفة إضافة إلى تعميق الفرق بين الوعي وفلسفة العقل التي اتسعت شروحها في الحقبة المعاصرة.

ويبين "لالاند" أن الوعي هو أحد المعطيات الأساسية للفكر، وبينه وبين المعاني صلة وثيقة، وأنه لا يمكن حد الوعي، كما لا يمكن إبلاغه للآخرين دون التباس، وعلة ذلك أن الوعى أصل كل معرفة، وقد جرى استعمال وعى بالمعنى النفسي وبالمعنى الاجتماعي والمعرفي، وأيضاً بخصوص حالة أو فعل واع يتجنب تمثيل

الوعى على غرار إطار يمكن وضع الظواهر النفسية فيه[18]، وفى نظرية المعرفة الأخلاقية تم الجمع بين العقلاني والأخلاقي في مفهوم الوعي وصار الوعى يعبر في الفكر الحديث عن الوعي بالفهم، فعند ديكارت كل تفكير هو وعى، وإن الفكر الواعي هو ماهية العقل، فالعقل الديكارتي جوهر لا فيزيائي، وقد اتجه العلم نحو النظر إلى العمليات الذهنية، وإن لكل الحالات الذهنية إدراكاً عصبياً في الجنس البشرى، وإذا كان التوسع في دراسة الوعى من المنظور البيولوجي قد حققت تقدماً ما، فلقد ظل الجانب الشخصي للوعي غير قابل للتحديد، وظل يقود الفلاسفة نحو الديكارتية ووجهة النظر الفينومينولوجية(*)كطريقة منهجية لدراسة الوعى.

الوعي هو ما يجعل حياتنا أثناء اليقظة تبدو بالشكل الذي تظهر لنا به، وكذلك فإن الوعى يعد المصدر النهائي لأى دلالة في العالم. فهناك من يربط بين الوعى والتفكير، حيث يعد مصطلح التفكير بالنسبة لعديد من الناس مرادفاً لمصطلح الوعي من الناحية العلمية، فإن التفكير بالتأكيد هو الوعى بالعالم، أي الوعي بالأشياء التي تكون داخل وخارج الذات الفردية، وسبب التمييز بين الوعى والتفكير بسيط للغاية، فإن العديد من أفكارنا تكون واعية، ولكن ليست جميع أفكارنا تكون كذلك، فهناك بعض الأفكار التي تكون غير واعية. وبذلك فإن كان التفكير لا يزال تفكيراً دون أن يكون واعياً، وبذلك لا يمكن بصفة عامة أن نطلق على أي تفكير أنه واعى، فهناك بعض الأشياء تفكر فيها، ولكننا لسنا واعين بأننا نفكر فيها[19].

كما يستخدم مصطلح "الوعى" عادة ليدل على أية حالة عقلية أو أية حالة يمكن أن توصف بأنها عقلية. كما أنه لا يشتمل فقط على إدراكنا لحالاتنا، ولكن أيضاً إدراكنا أننا ندرك الحالات نفسها.

التعريف الماصدقى للـــوعي: يعرف تصور الوعى ما صدقياً على أنه "يشتمل على كل ما يمكن أن يخبره الواحد منا في حالتي جلاء الوعى وشحوبه"[20].

وينسحب هذا التعريف على الوعي عندما يكون محل خبرة، أي وعى الواحد منا بذاته، وفى مقابل هذا الوعى الخاص يوجد وعيان آخران من الناحية الماصدقية هما: وعى الآخر، ذلك الذي نستدله ونفترضه ولا نعيشه أو نخبره، ثم وجود لا نعيه، نفترضه أيضاً ونستدله. إلا أن افتراض وجود واقعى لثلاثة أنواع من الوعي، رغم تفاوت سبل إدراكها بين الخبرة والاستدلال يجعلنا نناقش المقصود بواقعية كل منها[21]:

1- يعد الشيء واقعياً عندما يكون محل خبرة نشعر به ونعيه، ندركه ونتخيله والآن، بمعنى أنه يقع كحادث في النظام الزماني والمكانيل إدراك الخاص.

2- يعد الشيء واقعياً إذا جاء مرتبطاً في حدوثه بأشياء أخرى، بحيث تؤدى بنا الخبرة مزودة بالاستدلال المنطقي إلى توقع وجوده.

3- يعد الشيء واقعياً إن اتسم بالثبات والوجود حتى في حالة عدم إدراكه، وسبل التعرف عليه غير حسية تماماً مثل الأفكار.

المبحث الثاني ـ حدود الوعـــي ومجالاته :

مفهوم الوعي: يأتي إجابة عن السؤال ما الخصائص والصفات التي ترمز إليها كلمة "وعي"؟ أو ما شواهد الوعى؟

يرتبط حدوث الوعي بإحساسات كالألوان والأصوات ودرجات الحرارة والضغط وغيرها من الإحساسات التي تؤلف هيئة مركبة وتترابط مع الحالات والمشاعر والنوايا، على أن يتم ذلك كله في إطار نظام للإدراك الزمكاني الخاص"[22]، ويؤدى تحليلنا لهذا التعريف إلى احتوائه لعناصر الوعى وهى إدراكات حسية ذات طبيعة محسومة مثل المدركات البصرية واللمسية والخاصة بالشم، وكذلك المتعلقة بالطعوم. كما تحتوى على إدراكات تفتقر إلى الصفات الحسية مثل الصور الذاكرة والأفكار والانفعالات والقدرة على التجريد.. ويمكن للمدركات أن يرتبط بعضها ببعض في عالم الفكر مستقلة عن المدركات الحسية فهي بمثابة حقائق بذاتها ولا نخبرها تمثل شيئاً آخر أو بوصفها شواهد على شيء يدرك[23].

وقد يكون مصطلح الوعي في كثير من الأحيان مترادفاً مع الإدراك أو الإدراك الواعي. إن محتوى الوعى يتضمن تلك الأشياء التي نشعر بها أو التي ندركها، ولا يتضمن فقط التجارب التي ترتبط أنفسنا بها مثل الأفكار والمشاعر والصور والأحلام والأحاسيس الجسدية... إلى غير ذلك، ولكن يتضمن أيضاً العالم ثلاثي الأبعاد الذي نستشعره، وهو عالم الظواهر الذي يمتد إلى ما هو أبعد من سطح الجسم[24].

وغالباً يعد بعض الباحثين الآخرين "الانتباه" مرادفاً "للوعى"، حيث الانتباه بمعناه الواسع ينطبق على الانتقائية بين الإدراك والفكر، وتبدو هذه الانتقائية بلا ريب على مستويات متباينة في الجهاز العصبي، كما يستعمل بعضهم كلمة "وعي" بمعنى معرفة الذات "أو الإحساس بالوجود، بحيث يكون الوعى نعتاً مميزاً للإنسان بشكل خاص. وإن توفر بدرجات يسيرة إلى حد ما عند الكائنات الحية[25].

وقد يكون الوعى مترادفاً مع الوعى بالذات، وحيث إن المرء يمكن أن يكون على وعى بعديد من الأشياء بخلاف نفسه (مثل الوعى بالآخرين أو بالعالم الخارجي)، ولذلك فإن هذا التعريف يعد ضيقاً. وفى بعض الأحيان يستخدم الوعي بمعنى المعرفة،

أي أن المرء إذا كان على وعى بشيء ما، فإن ذلك معناه أيضاً أنه يوجد لديه معرفة خاصة بهذا الشيء، إذا العلاقة بين الوعى والمعرفة ذات أهمية كبيرة [26].

فالوعي هنا أشبه ما يكون بفريق من الخبراء المستقلين، كل منهم يقدم عرضاً لحـــل المشكلة أو اتخاذ القرار، ومن وجهة نظر أخرى فإن الوعى يشبه (السبورة) التي يتنافس عليها كل فرد لعرض الحل عليها، أو هو ذلك الصراع الذهني لاختراع حل جديد، فإذا ما حاولت الشبكة العصبية أن تأتى برسالتها على (السبورة) عندئذ يعرض الحل، مما يدفع باقي الخبراء إلى محاولة إيجاد حل آخر بناء على هذا الحل وبالمعنى الاصطلاحي، يقوم الوعي بإعادة توزيع المثيرات على العشرات أو المئات، بل الألوف من الخلايا العصبية في أي وقت، فعندما تكون أهداف الوعى محددة، فإنها تنتشر خلال الشبكة العصبية منتهية إلى حصاد هذه الأهداف، فإذا حاول الشخص اتخاذ قرار أو حل مشكلة تنشط المراكز العصبية لزيادة الوعي، فتتحول هذه الحلول الكامنة في اللاوعى إلى مراكز الوعي[27].

واعتماداً على هذه الأنواع من الاعتبارات، يعتقد ستيفن وايت[*] أن إعادة تقييم الخبرة الواعية تكون مضمونة ومؤكدة، ويعتقد بهذا أن القيمة التي نحددها للأشخاص على نحو مميز تكون استناداً إلى وعيهم الذاتي وليس وعيهم. ونظراً لأن إعادة التقييم المقترحة بخصوص أهمية الوعى ستكون مقنعة إلى المدى الذى عنده يكون لدينا تفسير للحالة المرتفعة نسبياً بأن الوعي في العادة يستمتع بأفكارنا حول أنفسنا، يقدم "ستيفن وايت" ثلاثة أسباب لماذا نميل إلى المغالاة في تقدير أهميته. أولاً بشكل أكثر وضوحاً، فإننا كثيراً ما نفشل في أن نميز بشكل واضح وكاف بين الوعي والوعي بالذات، وهناك تفسير لهذا الفشل، وهو أننا لا نملك مدخلاً أو إمكانية للتوصل للأمثلة الفعلية غير المثيرة للمشكلات الخاصة بالوعى دون الوعي بالذات. وهناك تفسير ممكن آخر هو أنه يوجد هناك بعض التفسيرات الفلسفية المقبولة الخاصة بالوعى بالذات، كما أشار واقترح "ستيفن في ملاحظاته، والتي تحجب اختلافه عن الوعى. والإمكانية الثالثة، على الأقل فيما يتعلق بالمناقشة الفلسفية، تتمثل في أن المرء ربما يعد ملازمة الوعي والوعى بالذات مذهباً فلسفياً أساسياً (واقعياً)[28].

والسبب الثاني في أننا ربما نغالى في تقدير أهمية الوعى، يتمثل في أننا نتشبث - سواء بصورة ضمنية أو بصراحة - بنظرية متعالية ومبهمة للوعى. إن مؤيد الفلسفة المتعالية يفترض أن لو ثمة شخصان يتشابهان بعضهما مع بعض في كل النواحي الموضوعية، بما في ذلك تفاصيل تكوينهم الجسماني، فإنهما ربما يظلان مختلفين في

خبراتهما الذاتية. وفي هذه النظرية فإن التمييز الأساسي هو ذلك الذي يميز بين الوعي واللاوعي: أي التمييز بين كونك مخلوقاً مثلنا والذي يكون من خصائصه أن يحيا ويحتفظ ببقائه وبين كونك شيئاً ما، والذى لا يوجد شيء من خصائصه أن يبقى. والمحتوى الفعلي للوعي - الأنواع من الأشياء التي قد تميز الشخص الذى يكون لديه وعى بذاته واهتمام بذاته عن ذلك الذى لا يكون لديه أي منها - تم تحديده بحيث يبدو بوجه عام أقل أهمية بخصوص هذه الفكرة[29].

إذا كان الأمر الأساسي في موضوع "الوعى" هو أن ندرك - أن نعى – هويتنا الشخصية وما نحن نعيش بصدده، فإن البعض يدعى بأن الأفعال التلقائية المنفذة دون تفكير هي حالات اللاوعي، ويميل أحد الآراء إلى أن البشر لا يستطيعوا أن يؤدوا - من دون وعي - الأنشطة الذهنية نفسها التي يؤدونها وهم في حالة الوعى، مثل رسم الخطط وتقدير المخاطر، غير أن بعض الدراسات النفسية تشير إلى أن البشر في الحقيقة بإمكانهم - دون وعي منهم - التفكير وتوقع النتائج وأخذ القرارات ورسم الخطط وتنفيذها، والأكثر من ذلك أن المريض النفسي يستعين بهذه القدرات في سعيه لشفاء نفسه[30].

فالوعى بمعنى التجربة الذهنية لا يكون ملغياً تماماً حتى في أشد فترات النوم عمقاً، كما يؤكد بعض العلماء، ويبدو أنه من المسلم به أن النشاط العصبي اللاواعي يعمل دوماً في أثناء الحركة (أنك لا تنظر إلى خطواتك وأنت تنزل السلم راكضاً)، أما الشيء غير المعروف تماماً فهو أن غالبية التفاعلات العصبية عمليات لا واعية، كنشاط المخيخي، والتفريغ العصبي أثناء النوم والإفراز الهرموني[31].

وقد برهن عديد من النفسانيين بأن الأحداث اللاواعية للإدراك والفكر، قد تكون أكثر أهمية لفهم الحادث الذهني من الأحداث التي تصل إلى المستوى الواعي، وتشكل الأحداث اللاواعية النسيج القاعدي الذي تنمو فوقه أعمال الوعي، وكذلك فإنه من المحتمل ألا يظهر جزء كبير من نشاط الدماغ أبداً في التجربة الواعية.

وأخيراً، فإن الصلة أو العلاقة بين الوعى والإحساس والأهمية الأخلاقية المرتبطة بالمتعة والألم، تمدنا بشكل مؤكد تقريباً بالسبب لتلك الأهمية المرتبطة بالوعى. وفي الواقع، فإنه من وجهة نظر الترابط المنطقي على نحو صارم، فإن القيمة الأخلاقية ترتبط فقط بخاصية الحالات الواعية لإنتاج حالات وعى غير مرضية يكون دائماً خاطئاً لأول وهلة، في حين أن قتل مخلوق واعٍ بذاته فوراً دون ألم ودون تحذير واستبدال مخلوق مشابه به لا يحتاج إلا أن يكون كذلك. وحيث إن القدرة على تجربة

الوعى بالمتعة والألم تتطلب وعياً وليس وعياً ذاتياً، فإن القيمة التـي عـادة مـا تعطيهـا للوعي يجب ألا تدهشنا [32].

ومحاولة أخرى للتعرف علـى الـوعى أو تعريفـه توضـح الفـارق الشاسـع بـين عقـل الإنسان في حالة وعيه وعقل (برنامج الحاسـوب) فـي حالـة تشـغيله، إن الـوعى دليـل وجود العقل، إنه حصنه ومظهره في الوقت نفسه، يمكن تعريفه على نحـوين: تعريـف ما صدقي وآخر مفهومي، أما الوعى بمعناه الماصدقى فإنه "يشتمل على كل ما يمكـن أن يخبره الواحد منا في حالتي جلاء الوعى وشحوبه [33]، وينطوي هذا التعريف على ثلاث مراتب: وعى الواحد منا بذاته أولاً، ثم وعيه بالآخر: الإنسان وما يرتبط بوجوده من أشياء، حيث تؤدى بنا الخبرة مزودة بالاستدلال إلى توقع وجوده، وثالثـاً: التعـرف على موضوعات حتـى فـي حالـة عـدم إدراكهـا فـي صـورة حسـية مثـل الأفكـار. أمـا التعريف المفهومي للوعى فيتناول شواهد الوعي من خصـائص وصـفات، وفيـه يمكـن القول: "يرتبط حدوث الوعى بإحساسات التي تؤلف هيئة مركبة وتترابط مع الحـالات والمشاعر والنوايا، على أن يتم ذلك كله في إطـار نظـام لـلإدراك الزمكـاني الخـاص" ويشمل هذا التعريف مساحة واسعة من الـوعى بالمـدركات، منهـا مـا هـو حسـى مثـل صور الذاكرة والأفكار والانفعالات والقدرة على التجريد، إضافة إلى الحقـائق القائمـة بذاتها[34].

ويشـير هنَّـا إلـى أن مفهـوم الـوعى يسـتخدم بـثلاث طـرق مختلفـة جـداً الأولـى هـي الاستخدام الميتافيزيقي تقريباً لكى تمثل شيئاً ما يكون بشـرياً بشـكل خـاص، مفهـوم لا يكون بهذا الشكل مختلفاً عن المفهوم القديم للروح، و استخدام هذا المفهوم بهذا الشـكل يعطى البحث عن فهم الوعى خاصية شبه غامضة، فهو يميل إلى أن يثيـر أسـئلة مثـل "هل يمكن للآلة أن تصبح واعيـة فـي أي وقـت ؟ علـى حـين يعطـى إمكانيـة صـغيرة للإجابة عن هذه الأسئلة وليس خلال عدد من الافتراضات الاعتباطية إلـى حـد مـا، إذا كان لهذا الاستخدام للمفهوم أي مكان مفيداً، فمن المؤكـد أنـه لا يكـون فـي علـم الـنفس المعرفي، حيث من المحتمل أن يكون البحث عن جوهر الوعى لـيس أكثـر فائـدة عمـا كـان عليـه البحـث فـي علـم الأحيـاء التـي أسـرت جـوهر الحيـاة، وتمامـاً كمـا وجـدت البيولوجيا أنه كان أفضل بكثير أن نعد الحياة خاصية ملحة للمادة تحت شروط بعينهـا، لذلك فإنه يبـدو مـن المحتمـل أن الـوعى سـيثبت أنـه خاصـية ملحـة، أو مجموعـة مـن الخصائص، لتراكيب معرفية محددة.

المعنى الثاني يتعلق بالوعى بوصفه مادة للخبرة التي تدخل في خبرة الشخص عند نظره لأعلى نحو السماء في يوم مشمس، أو الطعم المميز لقطعة من الجبن، وهو ما أشار إليه الفلاسفة بـ (qualia).

وقد بحثت "ويلكزك"(*) دون جدوى عن مثل هذا المفهوم في الفلسفة التقليدية، ولاحظت فيما بعد عدم وجود الكلمة المرادفة في اللغة الصينية، ولا في الصربية - كرواتية، بعد ذلك عبرت عن شكلها في أنه إذا كان هذا المفهوم في الواقع مهماً وأساسياً كما نميل إلى افتراض ذلك، فإنه من الغريب عدم اكتشافه في الصينية أو الصربية - كرواتية، وأشارت أيضاً إلى أن اليونانيين تدبروا ونجحوا في مناقشة معظم المسائل الوثيقة بالموضوع، دون الحاجة إلى مفهوم الوعي ولاحظت أن في اللغات الغرب، ظهر المفهوم تابعاً لديكارت، واقترحت أنه نتيجة مباشرة الثنائية الديكارتية، مواجهاً بمشكلة إيجاد أساس وطيد يمكن أن يبنى عليه فلسفته، اختار ديكارت أن يحدد هذا الدور للخبرة الواعية: "أنا أفكر إذا أنا موجود، بالطبع لم يكن هناك سبب لدعم الافتراض بأن الخبرة الواعية تعطى مثل هذا الأساس.

والمعنى الثالث للكلمة يتعلق بوصفه خاصية ملحة لنظام ما، والذي من خلاله يحدد طريقاً واحداً فيه يمكن للمعلومات من جزء واحد من النظام أن تؤثر على النظام كله، وبرؤيته بهذه الطريقة، فإن الوعي يصبح مشكلة للعلم المعرفي وعلم النفس المعرفي، حيث يتم التعامل معه باستخدام أساليب بعينها لا تكون مختلفة بشكل أساسي عن تلك الطبقة في الأشكال الأخرى للإدراك.

المبحث الثالث ـ مشكلــة غموض الوعــى:

يعتبر الوعى من أصعب مشكلات الوجود، وربما أكثر مدعاة للحيرة من تلك التي أقلقت أينشتاين، ومع ذلك، فهناك من العلماء من هم على استعداد للتأكيد على أن الوعى نفسه سوف يخضع للتحليل مثلما خضعت له مشكلة الحياة، ولكن هناك عقبة، أو بالأصح قيد مزدوج، فإن الوعى يحصل بفضل خاصية فيزيائية في الدماغ، تماماً مثلما تحدث "الإضاءة الحيوية" بفضل خاصية كيميائية من خلايا متخصصة بعينها فإن الوعى ليس بخاصية ظاهرة للعيان في المادة الحية، فهو ليس وميضاً في الدماغ، ولا خاصية خفية تتصف بقابلية الكشف عنها لأنها أصعب مما هو عليه الحال في العمليات البيولوجية الأخرى، فكل من يمتلك الوعى يستطيع الكشف عنه، ولكن الصعوبة تكمن في أن طريقة الكشف عن الوعى تختلف منطقياً عن طريقة الكشف عن الإثارة الحيوية.

ومن الخطأ أن نقول أن الوعى لا يكشف عنه قط، لأن في ذلك ما يعنـى أنـه يمكـن أن يمر الوعى دون أن يكشف عنه، وهذا أمـر لا معنـى لـه، فقد لا تستطيع الكشـف عـن وعيك أنت، ولكن وعيي أنا، فمن البديهيات أنه أمر واضح لي أنا[35].

يستخدم الباحثون كلمة الوعى بأشكال مختلفـة وحتـى تتضـح الأمـور، علينـا أولاً أن نفصل المشكلات التي غالباً ما تتجمع تحت هذا الاسم. ومـن أجـل هـذا الغـرض. مـن المفيد أن نميـز بـين المشـكلات السـهلة والمشـكلات الصـعبة فـي الـوعى. أمـا الأولـى فليست على الإطلاق تافهة (إذ أنها تمتلـك مـن التحـدي فـي الواقـع مـــا تمتلكـه أكبـر مشكلات علم النفس والبيولوجيا)، ولكن المشكلة الصعبة هي التي يكمن فيها الغموض المركزي.

تتضمن المشكلات السهلة للوعي ما يلى: كيـف يسـتطيع الإنسـان أن يميـز المنبهـات الحسية، وأن يستجيب لها بشكل مناسب ؟ وكيف يحقق الدماغ التكامل بـين المعلومـات الواردة من عدة مصادر مختلفة، ويستخدم هذه المعلومات للتحكم في السلوك ؟ وكيـف يستطيع الأفراد التعبيـر بـالكلام عـن حـالاتهم الداخليـة ؟ ومـع أن هـذه الأسـئلة تكـون مصـحوبة بـالوعى. إلا أنهـا جميعـاً تخـص الآليـات الموضـوعية للنظـام المعرفـي cognitive system، ومن ثم، فإننا نمتلك كل الأسباب لأن نتوقـع أن يجيـب العمـل المستمر في علم النفس المعرفي وعلم الأعصاب عن هذه الأسئلة.

وعلى النقيض من ذلك، فإن المشكلة الصعبة هي السؤال عن الكيفيـة التـي تقـوم بهـا السيرورات الفيزيائية في الدماغ لتكون السبب في الخبرة الذاتيـة. فعنـدما نـرى، علـى سبيل المثال، نخبر إحساسات بصرية مثل اللون الأزرق الزاهى، أو نفكر فـي صـوت المزمار البعيد الذى يفوق الوصف أو كرب الألم المبرح أو بريق السعادة أو الخاصـية التأملية للحظة الاستغراق في التفكير. إنهـا جميعـاً جـزء ممـا يسـمى الـوعى. إن هـذه الظواهر هي ذاتها التي تطرح السر الحقيقي للعقل[36].

وعلى الرغم من أن هناك كثيـراً مـن العلمـاء والفلاسـفة يعتقـدون أن مشـكلة الـوعى سوف تحل فـي النهايـة. فهنـاك آخـرون كثيـرون وصـلوا إلـى الاعتقـاد بـأن الكائنـات الواعية لـن تكشف أبداً سر الوعى الوعي، لأنهم أنفسهم موجودات واعية[37].

فقد نرى في الوعي مفهوماً غامضاً أو سراً عميقاً، لكنـه أمـر ضـروري لكـل دراسـة تهدف إلى سـبر غـور مـا يحـدث داخـل دمـاغ الإنسـان بتوجيـه مـن عقلـه. إلا أن هـذا الغموض قد يتوارى عنـدما يمثـل محتـوى خبرتـي أمـــامي بطريقـة نألفهـا جميعـاً أنـا وغيرى، أو قد يكون المحتوى خاصاً بي ويشكل جانباً من وعيي الخاص، وهنا يصبح

فريداً ويقدم تفسيراً ملائماً عن طبيعة ما تنطوي عليه عمليات التمثيل من محتوى معرفي نوعي[38].

وهنا يمكننا القول بأنه ربما لا توجد ظاهرة غير الوعى تتمتع بهذا القدر من الوضوح لنا جميعاً، إلى جانب كونها في غاية الغموض بالنسبة لأية دراسة نسقية سواء أكانت فلسفية أم علمية، فيبدو أن تلك الحيرة التي نقع فيها عند التفكير في الوعى تشبه لغز القديس أوغسطين(*) عند تأمله لطبيعة الوقت: فعندما لم يسأله أحد عن طبيعة الوقت، كان يعرف ما هو الوقت، ولكن عندما تم سؤاله عن طبيعة الوقت فإنه لم يستطع أن يعرف طبيعته [39].

فكيف نجيب مثلاً عن السؤال القائل "ما معنى أن تكون واعياً ؟ فقد تقول شيئاً عن "الوعى"، ولكن هذه الكلمات تعيد صياغة المشكلة بكلمات مختلفة لا أكثر، فنحن نتحدث عن تجاربنا كما لو كنا نصف أشياء أخرى، ثم نعدد وصف التوصيفات بقولنا: إنها في الوعي أكثر منها في العالم. وكيف لنا هنا أن نصف الوعى ذاته ؟ وتوجد هناك صعوبة أكبر ألا وهى: إذا استطعت التحدث عن عقلي بصعوبة فكيف سيمكنني أن أتحدث عن عقلك أنت بصورة أو بأخرى ؟ أنا أستطيع التعبير عما يدور بعقلي فحسب، ولكن لا يمكنني أن أشعر بألمك وحتى لو شعرت بآلامك (تعاطفاً معك) فإن ما سأشعر به ألمى أنا، إذا فأنا لا أستطيع وصف عقلك بالمرة، ومن هنا جاءت صعوبة مشكلة الوعى[40].

علينا هنا أن ننتبه إلى سؤالين ضروريين:

هل يحدث الغموض نتيجة التمسك بالإطار المادي ؟ أم أنه متأصل بالضرورة في افتقادنا للقدرات الإدراكية المعرفية ؟ الملاحظ أن تلك الأسئلة تكون محورين: أحدهما (وجودي) والآخر (معرفي) يقطعان بعضهما البعض [41].

الذين يعتقدون أن الوعى يظل بمثابة غموض في عالم الوجود المادي يقترحون أن المكان المناسب لمتابعة البحث هو بالأحرى العالم غير المادي مثل العالم الخاص الكينونات العقلية عند كارل بوبر(*)، ومثل الكوجيتو بالنسبة لديكارت. وهنا ينشأ التساؤل حول: كيفية تفسير الرابطة بين الوعى في العالم غير المادي وبين الدماغ والأجسام في العالم المادي لقد حل ديكارت هذه المشكلة حيث افترض أن الغدة النخامية هي حارسة بوابة التفاعل بين النوعين الاثنين المختلفين بالضرورة. ثم جاء جون اكلس(*) بعد ديكارت بثلاثة قرون ليقوم بمحاولة مكررة، على الرغم من أن تلك المحاولة جاءت في صورة علم الأعصاب المعقد من خلال افتراض أن الوحدات

العقلية تعتبر نظائر لتفرعات الخلايا العصبية في الدماغ من أجل ربط العالم العقلي عند بوبر بالعالم المادي وعلى الجانب الآخر هناك من يعزى غموض الوعى إلى افتقادنا إلى القدرات المعرفية التي من شأنها أن تمكننا من فهم طبيعة رابطة النفس البدنية بين الدماغ والعقل. وقد ذكر "ماكجين McGinn " انه على الرغم من أن معرفتنا بأن الأدمغة الأساس السببي للوعي، إلا أنه لا توجد لدينا أية فكرة عن كيفية تحويل السائل الدماغي المادي إلى الوعي، فهي تعد مشكلة معرفية أكثر منها مشكلة وجودية [42].

إن الصعوبة العامة التي تتضمنها مشكلة الوعي، هي ما يطلق عليه أحياناً الفجوة التفسيرية، إذ أن من تناولوا هذه المشكلة يعتقدون أن هذه الفجوة التفسيرية مثيرة للجدل.

إن علم الأعصاب ليس بالطبع منقطع عن دراسة الوعي، فقد يكون أولاً قادراً على كشف طبيعة المتعلقات العصبية للوعي، إذ أن السيرورات الدماغية ترتبط مباشرة بالخبرة الواعية، ويمكن لعلم الأعصاب أن يعطينا أيضاً المطابقة التفصيلية بين سيرورات محددة في الدماغ وبين المكونات المتعلقة بالخبرة، ولكن إلى أن تعرف ذات يوم لماذا تسبب هذه السيرورات خبرة واعية، فلن تكون قد اجتزنا ما دعاه الفيلسوف "ليفين" الهوة التفسيرية بين السيرورات الفيزيائية والوعى وسيتطلب تحقيق تلك القفزة نظرية من نوع جديد[43].

نجد دانيال دينيت[*] في الصفحات الافتتاحية لكتابه الوعى المفسر" يذكر لنا أن الوعى الإنساني لا يزال به غموض باق، لقد كان هناك عديد من الأشياء الغامضة كغموض أصل الكون وغموض الحياة وغموض الوقت والحياة والفراغ والجاذبية، فنحن لم نحصل بعد على أية إجابات لأى من تلك الأسئلة الكونية وتلك المتعلقة بفيزياء الذرات والجينات الجزيئية ونظرية التطور، ولكننا لا ندرى كيفية التفكير في تلك الأمور، إن غموض تلك الأشياء لم يختف ولكنه شهد تهذيباً ما، والوعى اليوم يقف بمفرده كونه موضوعاً يربك ويعجز أمامه حتى أكبر مفكرينا ثقافة.

ولكن هذا لا يجعلنا نعتقد أن دينيت يشجع معنى الغموض. فكتابه يحمل عنوان "الوعى المفسر" ويبدو لنا أن الوعى العام السائد بين هؤلاء العاملين والدارسين للوعى بما فيهم الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الأعصاب يميلون فيه إلى الجانب المحير المملوء بالألغاز، علاوة على ذلك يبدو أنه في أعقاب النهضة الحديثة التي شهدها الاهتمام

بدراسة الوعى كان ظهور موضوع الوعى يخيم عليه الغموض، حتى أنهم أدرجوا الوعى في قائمة الأسئلة العلمية العشرة التي لم يجاب عنها[44].

وضع الفيلسوف دينيت نظرية متطورة حول كيفية ترابط السيرورات المستقلة العديدة في الدماغ لتنتج استجابة متماسكة تجاه الحادثة التي يدركها. ويمكن لهذه النظرية أن تقدم كثيراً لتفسير كيفية إخراجنا تقارير لفظية عن حالاتنا الداخلية، ولكنها لا تخبرنا إلا القليل عن سببية ضرورة وجود خبرة ذاتية وراء هذه التقارير إن نظرية دينيت، شأنها شأن نظريات الاختزاليين الأخرى، هي نظرية للمشكلات السهلة[45].

ومن جانب آخر نجد أن "أوين فلاناجان"(*) قد اقترح ما أسماه بالمنهج الطبيعي وهو أسلوب مثلثي لدراسة الوعي يقوم بدمج علم الظواهر وعلم النفس، وعلم الأعصاب، فقال إن الوعى موجود ومن الخطأ أن يمنع الحديث عنه، ولذلك يعد التصرف الصحيح هنا هو إخراج مفهوم الوعي من ماضية الشبحي وتدعيمه بتحليل طبيعي معقول، فإذا استطعنا شرح مفهوم الوعى فإن ذلك سيكون أفضل إنجاز نفخر به ومن هنا وجدنا أن الفلاسفة لم يحققوا امتيازاً في تقديم حلول المشكلة، ولكنهم حققوا تفوقا في شرح مدى تعقيد المشكلة، ولعلنا نجد أن ما يؤكد عليه العديد من الفلاسفة يتمثل في أنه لا أهمية لما يقوم به العلماء، فإن منظورات الرأي والرأي الآخر عن الأفراد الواعين لن يتم المصالحة بينهما، ففجوة التفسير هنا لم يتم علاجها[46].

الوعى والانتباه:

يمثل الانتباه دوراً مهماً في توجيه الوعي، إذ يسمح أو يمنع بعض أنواع من الخبرات من دخول دائرة الوعى، فملايين الأحداث تقع في لحظة بعينها، ولكن قليل منها يبقى في وعينا، وكما يقول جيمس(*) "خبرتي هي ما أريد أن أتنبه له[47]. وقد اعتقد "جيمس" أن الوعى يشتمل على الانتباه والذاكرة القصيرة الأمد، معظم علماء النفس اليوم مع هذا الرأي، ويقول: إن الوعي "يثريه" الانتباه، مشيراً بذلك إلى أنه في حين لا يكون الانتباه أساسياً لبعض أنواع بعينها ومحدودة من الوعي، فإنه ضروري للوعي التام [48].

ويرى بعض علماء النفس أن الانتباه مصفاةfilter لتصفية المعلومات عند نقاط مختلفة في عملية الإدراك، ويعتقد آخرون أن الإنسان يركز ببساطة على ما يريد رؤيته ويرتبط بالخبرة دون استبعاد مباشر للأحداث المنافسة[49].

يعد الانتباه عملية الاهتمام الواعي والإحساس الزائد بمدى محدد من تجربة بعينها تحتاج إلى معلومات مفرطة، والاختيار الموضوع محدد أو فكرة بعينها أو مكان بعينه قد يحدث به شيء مهم هو جوهر الانتباه.

وبصفة عامة، يحكم الضمير عن طريق عدة مؤثرات خارجية والتي تقودنا تلقائياً للتركيز على فكرة بعينها - لتنشيط الاهتمام - الذى يوجهنا إلى الأفكار أو الوعى[50].

إنكلمتي الانتباه والوعي مرتبطتان ولكن كل منهما يقترح تركيزاً مختلفاً إلى حد ما، فالوعي يتضمن خبرة ظاهرية، في حين يشير الانتباه إلى عمليات ضمنية مثل (الاختبار) في توجيه الخبرة الواعية، فإن الانتباه يتضمن تحكم الحكم في اتجاه الوعى.

الخاتمـــــة :

تعد الفلسفة الواعية المجتمع كياناً فريداً ولا يمكن أن يختزل إلى الأفراد (مجرد مجموعة أفراد) والمجتمع وجه من وجوه الكيان الروحي للإنسان، ويجب أن ينظر إليه كجهاز لتحقيق الكمال الإنساني وكون المجتمع خلية من خلايا الكون يحتاج إلى تصور شامل تعاوني للكون والمجتمع، وهذه النظرة تقابلها في الفلسفة الحديثة نظرة إلى المجتمع وتجتهد هذه الفلسفة في صون سيادة الفرد واستقلاله بحيث يستطيع ممارسة حقوقه ومسؤولياته بكل ما تعنيه الكلمة في استخدام منهج فكري في كيفية بناء تكنولوجيا السلوك الإنساني كأسلوب ومنهج واعي وضرورة زيادة الوعي من خلال التكامل في العمل بين المؤسسات وأن مسؤولية الحفاظ على الحياة الإنسانية هي مسؤولية الفرد والمجتمع وإن يكون لهم دور أساسي فاعل في تربية الجيل الواعي والحفاظ عليه.

فالفلسفة الواعية تحتاج إلى وقفة علمية صادقة تعيد علاقة الإنسان ووعيه على أساس فلسفي جديد وتوجيهها لحياة الإنسان الواعي المتوازن مع نفسه، وفيما يلي بيان بعض النتائج المستخلصة من البحث:

1ـتأكيد مكانة الإنسان من خلال النظرة الشاملة يجعل الإنسان خليفة الله على الأرض.

2ـ تمكين الإنسان من تطوير شخصيته من جوانبها الروحية والفكرية والوجدانية والخلقية والجسمية والاجتماعية بصورة متوازنة شاملة ومتكاملة.

3ـ تبصير الإنسان بحقوقه وواجباته وتمكينه من النهوض بواجباته على أكمل وجه.

4ـ الإسلام يمثل نظرة شمولية للإنسان التي تؤكد التوازن بين الروح والجسد فالحياة الواعية هي الغاية وهي الهدف للإنسانية ومع ذلك فلابد من العناية بالجسد واحتياجاته عناية كاملة ومن خلال هذه العلاقة الوثيقة بين الروح والجسد جاءت ضرورة اهتمام

الإنسان بالحياة المادية والروحية والعمل على توفير وسائل العيش والنمو والتكاثر وذلك مع خلال الحفاظ على الموارد الطبيعية.

5- تأكيد التفكير الواعي والتقدير للعلم والمواقف العقلانية في الحياة، والعقلانية تنبع من الإيمان من خلال دراسة الواقع المعاش دراسة تحليلية موضوعية بفكر علمي واستخلاص القوانين التي تضبط سلوك الإنسان.

6ـ يأخذ الوعي الإنساني دوره في توعية الدول الغنية وتبصيرها بمسؤولياتها والعمل على (أغلاق) الهوة بينها وبين الدول النامية وذلك بمساعدة الدول النامية في اجتياز مشاكلها وهذا يتطلب إيجاد قيم أخلاقية سلوكية تربوية.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل

الهوامـــــــــش :

(1)نيلاف حروف، هال زينا بنينة، العقل المحيط، ترجمة: ثائر ديب، دار العين، ط1، 2005م، ص38.

(2) خير شواهي، تنمية مهارات التفكير في تعلم العلوم، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2003م، ص12.

(3) أمل عبدالسلام الخليلي، الطفل ومهارات التفكير، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005م، ص27.

(4)ايمانويلكانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة عبدالغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1980م، ص107-108.

(5)فيشباخ، العقل والدماغ، مجلة العلوم للترجمة العربية، المجلد 10، العدد 5، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1994م، ص6.

(6) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، ص199.

(*)رينيه ديكارت (بالفرنسية: René Descartes) (31 مارس 1596 – 11 فبراير 1650)، فيلسوف، وعالم رياضياتي وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ«أبو الفلسفة الحديثة»، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تدرس حتى اليوم، خصوصًا كتاب (تأملات في الفلسفة الأولى-1641م) الذي ما زال يشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة. كما أن لديكارت تأثير واضح في علم الرياضيات، فقد اخترع نظامًا رياضيًا سمي باسمه وهو (نظام الإحداثيات

الديكارتية)، الذي شكل النواة الأولى لـ (الهندسة التحليلية)، فكان بذلك من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية.https://ar.wikipedia.org/wiki

(7) فتحي جروان، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2000م، ص71.

(8) محمد محمد قاسم، علاقة نماذج الإدراك المعرفي بالتمثيلات الذهنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م، ص41.

(9) المرجع نفسه، ص193.

(10)روزنتال، يودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم، جورج. طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 586.

(11) ندى محمد نعيم الدقر: موت الدماغ بين الطب والإسلام، دار الفكر المعاصر، ط1، سورية، لبنان، 1997، ص 44.

(12) تشارلز فيرست: الدماغ والفكر، ترجمة محمود سيد رصاص، دار المعرفة، ط 2، دمشق، 1993، ص14.

(13) إنجوس جيلاتي، أوسكار زاريت: الذهن والمخ، ترجمة جمال الجزيرى، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001، ص 134.

(14)محمدمحمد قاسم: علاقة نماذج الإدراك المعرفي بالتمثيلات الذهنية، مرجع سبق ذكره، ص 15.

(15) نيلاف حروف، هال زينا بينية: العقل المحيط، ص37.

(16) المرجع نفسه، ص 38-37.

(17)إبراهيممدكور: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص 210.

(18)موسوعةلالاند الفلسفية: تعريب خليل أحمد خليل منشوراتعويدات، بيروت، ط 2، 2001، المجلد الأول، ص 215.

(*)**الفينومينولوجيا** أوالظاهراتية هي مدرسة فلسفة تعتمد على دراسة الموضوعية أو الواقع كما يعاش ويختبر بشكل ذاتي. وهو أيضًا الخبرة الحدسية للظواهر كنقطة بداية (أي ما تمثله هذه الظاهرة في خبرتنا الواعية) ثم تنطلق من هذه الخبرة لتحليل الظاهرة وأساس معرفتنا بها. غير أنها لا تدعي التوصل لحقيقة مطلقة مجردة سواء في الميتافيزيقا أو في العلم بل تراهن على فهم نمط حضور الإنسان في العالم. يمكن أن نرصد بداياتها مع هيغل كما يعتبر مؤسس هذه المدرسة إدموند هوسرل، تلاه في التأثير عليها عدد من الفلاسفة مثل: هايدغر وسارتر وموريس ميرلو بونتي وريكور. وتقوم هذه المدرسة الفلسفية على العلاقة الديالكتية بين الفكرة والواقع.https://ar.wikipedia.org/wiki

(19)محمدمحمد قاسم: علاقة نماذج الإدراك المعرفي بالتمثيلات الذهنية،مرجع سبق ذكره، ص 41.

(20)محمد قاسم: المدخل إلى فلسفة العلوم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م، ص 42.

(21)محمد قاسم: المدخل إلى فلسفة العلوم، مرجع سبق ذكره، ص42.

(22)محمد قاسم، المدخل إلى فلسفة العلوم، مرجع سبق ذكره،، ص144.

(23)المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(24)فشباخ، العقل والدماغ، مرجع سبق ذكره، ص20.

(25)تشارلزفيرست: الدماغ والفكر، ترجمه محمود سيد رصاص، دار المعرفة، دمشق، ط2، 1993، ص101.

(26)المرجع نفسه، ص110.

(27) تشارلز فيرست، الدماغ والفكر، مرجع سبق ذكره، ص402.

(*)ستيفن وايت (بالإنجليزية: Stephen White) هو كاتب أمريكي، ولد في 1951 في لونغ آيلند في الولايات المتحدة. https://ar.wikipedia.org/wiki

(28)ندى محمد الدقر، موت الدماغ بين الطب والإسلام، مرجع سبق ذكره، ص50.

(29)المرجع نفسه، ص58-60.

(30)ويس: كيف يعمل العقل الباطن، مجلة العلوم، الترجمة العربية، المجلد 11، العددان 6، 7، يوليو، 1995، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ص 410.
(31)رولاند فيشر: انبثاق العقل من المخ، ترجمة أحمد رضا، مجلة ديوجين، العدد 83-82، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، القاهرة، يناير، 1989، ص13.
(32) تشارلز فيرست: الدماغ والفكر، مرجع سبق ذكره، ص 16.
(33) محمد محمد قاسم علاقة نماذج الإدراك المعرفي بالتمثيلات الذهنية، مرجع سبق ذكره، ص ص 87-88..
(34)تشارلز فيرست، الدماغ والفكر، مرجع سبق ذكره، ص16.
(*)فرانك أنتوني ويلكزك (Frank Anthony Wilczek) (مواليد 15 مايو 1951) هو عالم فيزياء نظرية أمريكي، وبروفسور فيزياء في معهد ماساتشوستس للتقنية. حصل على جائزة نوبل للفيزياء عام 2004 بالاشتراك مع دايفيدغروس وهـ. دايفيدبولتيزر عن أعمالهما في الحرية المتقاربة asymptotic freedom.https://ar.wikipedia.org/wiki/
(35)ج. ميلر: تفكير حول العقل، مجلة العلوم، الترجمة العربية لمجلة العلوم الأمريكية، المجلد 15، العدد 5، الكويت، 1994، ص 117.
(36)ديفيد شالمرز: لغز الحياة الواعية، ترجمة زياد القطبي، مصطفى أحمد زكي، مجلة العلوم، المجلد 13، العددان 6-7، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الكويت، 1997، ص 22.
(37)ديف روبنسون، كريس جارات: ديكارت، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2001، ص171.
(38)محمدمحمد قاسم: علاقة نماذج الإدراك المعرفي بالتمثيلات الذهنية، مرجع سبق ذكره، ص 69.
(*)**القديس أوغسطينوس** تكتب أكثر القديس أوغسطين (13 نوفمبر 354 - 28 أغسطس 430) كاتب وفيلسوف من أصل روماني-لاتيني ولد في طاغاست. يعد أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية. تعدّه الكنيستان الكاثوليكية والأنغليكانية قديسا وأحد آباء الكنيسة البارزين وشفيع المسلك الرهباني الأوغسطيني. يعدّه العديد من البروتستانت، وخاصة الكالفنيون أحد المنابع اللاهوتية لتعاليم الإصلاح البروتستانتي حول النعمة والخلاص. وتعدّه بعض الكنائس الأورثوذكسية مثل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قديسا.https://ar.wikipedia.org/wiki/
(39)محمد محمد قاسم: علاقة نماذج الإدراك المعرفي بالتمثيلات الذهنية، مرجع سبق ذكره، ص 69.
(40)المرجع نفسه، ص70.
(41)ديف روبنسون، كريس جارات، ديكارت، مرجع سبق ذكره، ص178.
(*)كارل ريموند بوبر (بالألمانية: Karl Raimund Popper) (28 يوليو 1902 في فينا - 17 سبتمبر 1994 في لندن) فيلسوف نمساوي-إنكليزي متخصص في فلسفة العلوم. عمل مدرسا في كلية لندن للاقتصاد. يعتبر كارل بوبر أحد أهم وأغزر المؤلفين في فلسفة العلم في القرن العشرين كما كتب بشكل موسع عن الفلسفة الاجتماعية والسياسية.https://ar.wikipedia.org/wiki/
(*)السير.جونإيكلس (John Carew Eccles) كان عالم فيزيولوجيا وطبيب أستراليًا، ولد في 27 يناير 1903 وتوفي في 2 مايو 1997، تحصل على جائزة نوبل في الطب لعام 1963 لأبحاثه حول التشابكات العصبية، وحيث شارك معه في جائزة نوبل في الطب كلا من السير آلنلويدهودجكين والسير أندرو هكسلي لتجاربهما وأبحاثهما الرياضية المتعلقة بجهد الفعل. كان جون إيكلس مسيحي كاثوليكي مُلتزم دينياً.https://ar.wikipedia.org/wiki/
(42)ديف روبنسون، كريس جارات، ديكارت، مرجع سبق ذكره، ص191.
(43)شالمرز: لغز الخبرة الواعية، ص 67.
(*)دانيال دينيت (Daniel Dennett) (من مواليد 28 مارس 1942 في بوسطن) هو فيلسوف وكاتب وعالم إدراكي أمريكي يهتم بالبحث في فلسفة العقل، وفلسفة العلوم، وفلسفة علم الأحياء، وخصوصاً كيفية ارتباط هذه التخصصات بعلم الأحياء التطوري والعلوم الإدراكية.https://ar.wikipedia.org/wiki
(44)تشارلز: لغز الحياة الواعية، مرجع سبق ذكره، ص 60.

(45)المرجع نفسه، ص66.
(*)أوين فلانغن (Owen Flanagan) هو أستاذ مدرسة وفيلسوف أمريكي، ولد في 30 يناير 1949. /https://ar.wikipedia.org/wiki
(46)ليندا ل. دافيدوف: مدخل إلى علم النفس، ترجمة سيدالطواب وآخرون، مراجعة وتقديم فؤاد أبو حطب، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1988، ص 269.
(*)ويليام جيمس (11 يناير 1842، نيويورك- 26 أغسطس 1910 شوكوروا، نيوهامبشير) (William James). هو فيلسوف وعالم نفس أمريكي، وأول معلّم يقدم دورة في علم النفس في الولايات المتحدة الأمريكية. يُعتبر جيمس مفكراً رائداً في أواخر القرن التاسع عشر، وأحد أكثر الفلاسفة نفوذاً في الولايات المتحدة الأمريكية و«مؤسس علم النفس الأمريكي».https://ar.wikipedia.org/wiki
(47)ليندا ل. دافيدوف: مدخل إلى علم النفس، ترجمة سيدالطواب وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص258.
(48) كريك، كوخ: مشكلة الوعى، مجلة العلوم، المجلد 10، العدد 5، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1994، ص 98.
(49)ليندا ل. دافيدوف: مدخل إلى علم النفس، ترجمة سيدالطواب وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص258.
(50)المرجع نفسه، ص 250.